التأثيرات المحتملة لتكنولوجيا الإعلام والاتصال

د.خلفلاوي شمس ضيات
جامعة عنابة

الملخص بالعربية:

يمثل مجتمع المعلومات تحديا لنا جميعا ولا سيما فيما يتعلق بالجوانب الأمنية والاقتصاد العالمي، وكذلك الأنشطة الاجتماعية والثقافية، فالتطورات التقنية التي اجتاحت العالم الماضي وعلى وجه التحديد ظهور طريق المعلومات السريعة أدت إلى إعادة تنظيم المجتمع على نحو يؤثر في العلاقات بين الأفراد والجماعات والدول، ولكن هذه الثورة لم تتمكن من خدمة البشرية إلا إذا توافرت لها كل متطلبات النجاح مع الأخذ بالاعتبار التأثيرات المحتملة.

الملخص بالفرنسية:

La société de l'information représente un défi pour nous tous, en particulier en ce qui concerne les aspects de sécurité et l'économie mondiale, ainsi que des activités sociales et culturelles, l'évolution technique, dont la dernière a envahir le monde et plus particulièrement l'émergence de l'information et la communication a conduit à la réorganisation rapide de la société, aura une influence sur les relations entre individus, groupes et nations, mais cette révolution n'est pas en mesure de servir l'humanité seulement; s'il possède toutes les conditions requises pour la réussite, en tenant compte des impacts potentiels.

مقدمة:

إن العالم يعيش اليوم مرحلة جديدة من التطور التقني، امتزجت فيها نتائج وخلاصات ثورات ثلاث هي: ثورة المعلومات التي أحدثت انفجارا معرفيا ضخما تمثل في ذلك الكم الهائل من المعرفة في أشكال تخصصات ولغات عديدة، والذي أمكننا الاستفادة منه بواسطة تكنولوجيا المعلومات، وثورة وسائل الاتصال المتمثلة في تقنيات الاتصال الحديثة، والتي بدأت بوسائل الاتصال السلكية واللاسلكية، مرورا بالتلفزيون والنصوص المتلفزة، وصولا إلى الألياف البصرية وتقنية الأقمار الصناعية التي تمثل أرقى ما وصل إليه الإنسان حتى الآن من تطور حضاري، وأخيرا ثورة الحاسبات الالكترونية التي توغلت في كل مناحي الحياة وامتزجت بكل وسائل الاتصال واندمجت معها، ولعل شبكة الانترنيت العالمية تمثل ذلك الامتزاج في أوضح صوره.

ويعود الفضل في إمكانية تحقيق المزج بين الثورات الثلاث-المعلومات والاتصال والحاسبات- إلى ما يعرف اليوم بالتقنية الرقمية التي أتاحت لغة للحوار المشترك بين تكنولوجيا وسائل الاتصال من جهة، وتكنولوجيا الحاسبات الالكترونية من جهة أخرى، حيث أتاحت هذه التقنية المتقدمة إمكانية ترجمة المعلومات بكافة أنواعها إلى رموز مشفرة، بما يشمل إلى جانب الصوت والنص، الصور الفوتوغرافية وغيرها من العناصر الجرافيكية، فتفهمها وتتعرف عليها الحاسبات الآلية، وتتيح إمكانية نقلها في ذات الوقت عبر وسائل الاتصال السلكية واللاسلكية، الأمر الذي أتاح لتكنولوجيا المعلومات والاتصال إمكانية الاستفادة من الإمكانيات الهائلة التي تتيحها اليوم كل من تقنيتي الاتصال والحاسبات الالكترونية على حد سواء.

وهذا ما يدفعنا إلى طرح التساؤل التالي: ما هي مختلف تأثيرات تكنولوجيا الاتصال؟

أولا: التأثيرات الاتصالية لتكنولوجيا الاتصال:

1.التأثيرات البنائية[1]: (ميلاد نماذج متطورة لعملية الاتصال في مقابل قصور النماذج التقليدية):

أدى التقدم التقني الهائل في مختلف حقول الاتصال، إلى بروز أنماط جديدة للاتصال في كافة مراحل العملية الاتصالية، مما فتح الباب لإحداث تطورات جوهرية في بنية النماذج التقليدية لوصف العملية الاتصالية، سواء على مستوى الاتصال الذاتي، أو الاتصال بين فردين، أو الاتصال الجمعي أو الاتصال الجماهيري، وسنعرض لهذه التطورات كالتالي:

1.1. تطور نموذج عملية الاتصال الذاتي:

تعتبر عملية الاتصال الذاتي هي العملية العقلية الواعية التي تدور داخل عقل الإنسان أثناء التفكير أو التحدث مع الذات، وبالتالي فإن النموذج التقليدي لعملية الاتصال الذاتي، يقدم نفسه كنموذج مغلق على الإنسان بمفرده. لكن التقنية الحديثة في مجال الحاسب الإلكتروني تطرح بعدا جديدا في تلك العملية الاتصالية. فإن الإنسان أثناء الاتصال الذاتي يظهر كمركز لتنسيق المعلومات المختلفة، وأيضا يظهر الحاسب الإلكتروني كمركز لتنسيق المعلومات، بل ويعد امتدادا هائلا لقرارات الإنسان العقلية والمنطقية المحدودة وبالتالي فإن قيام الإنسان بالتعامل مع الحاسب الإلكتروني باعتباره آلة لإجراء العمليات المنطقية والحسابية، يمكن اعتباره نشاطا اتصاليا لا يخرج عن دائرة الاتصال الذاتي، طالما لم يمتد هذا الاتصال إلى فرد آخر، أو إلى قواعد أو شبكات المعلومات.

وبالتالي فإن الدائرة الاتصالية المغلقة التي تحوى(الإنسان-الحاسب الإلكتروني) تشير إلى شكل متطور للاتصال الذاتي، تتحد فيه قدرات الإنسان العقلية المحدودة السعة، مع قدرات الحاسب الإلكتروني الهائلة.

2.1. تطور نموذج عملية الاتصال الآلي بين فردين:

يبدو النموذج التقليدي لعملية الاتصال الآلي بين فردين، كنموذج بسيط في معظم تفاعلات عناصره المختلفة. ولكن تطرح التقنيات الاتصالية الحديثة نموذجا متطورا استجابة لمجموعة من المستجدات التي طرأت على تلك العملية الاتصالية، فأدت إلى إحداث تحولات في كافة عناصرها ومستوياتها. ويتضح هذا من العرض التالي:

أ. على مستوى الرسالة:

✓ واقعية الرسالة: حيث ستتميز الرسالة الاتصالية في النموذج المتطور بالمزيد من الواقعية، وذلك لدخول الصورة كعنصر جديد في هذا الاتصال، من خلال الوسائل الاتصالية الجديدة، كالتليفون المرئي أو البريد الالكتروني المرئي. مما سيؤدي إلى ظهور المزيد من التفصيلات المرئية عن حالة طرفي الاتصال وموقعها، بما يضفى مزيدا من الواقعية على الرسالة الاتصالية.

✓ حتمية وصول الرسالة أو حتمية تحقق الاتصال: فمن خلال الوسائل الاتصالية المحمولة (تليفون محمول- كمبيوتر محمول)، ستصبح حتمية تحقق عملية الاتصال أو وصول الرسالة حقيقة مؤكدة، وذلك لإمكان الوصول إلى الطرف الآخر في عملية الاتصال حالة تواجده في أي مكان، أو ترك الرسالة له على «المجيب الالي»، كما أن الانشغال المتوقع للطرف المرسل لن يؤدي إلى تعطيل عملية الاتصال، طالما يمكن تسجيل الرسالة وتخزينها وإرسالها آليا للطرف المتلقي أثناء غياب أو انشغال المرسل بالاتصال، وبالتالي لن يعوق هذا الاتصال إلا الأعطال الفنية.

ب.على مستوى الوسيلة:

✓ حركية الوسيلة: وذلك من خلال التقدم التقني في الوسائل الاتصالية المحمولة مما يحرر الوسائل الاتصالية من الثبات ويكسبها الحركة.

✓ ظهور الوسيلة كبديل عن القائم بالاتصال: وذلك لإمكانية التخزين للرسائل، ثم إرسالها ذاتيا أثناء غياب أو انشغال القائم بالاتصال.

✓ ظهور الوسيلة كبديل عن المتلقي: وذلك لإمكانية التلقي والتخزين للرسائل الواردة أثناء غياب أو انشغال المتلقي.

ج.على مستوى القائم بالاتصال:

✓إمكانية غياب القائم بالاتصال.

✓حركية القائم بالاتصال.

د.على مستوى المتلقي:

✓ إمكانية غياب المتلقي.

✓حركية المتلقي.

3.1. تطور نموذج عملية الاتصال الجمعي:

أدت التقنيات الاتصالية الحديثة إلى إمكانية عقد الاجتماعات والمؤتمرات عن بعد. وقد أدى هذا إلى أن يصبح الاتصال الجمعي غير مواجهي، مما غير من بنية النموذج التقليدي للاتصال الجمعي. ويتضح ذلك من العرض التالي:

أ.على مستوى القائم بالاتصال: من خلال:

✓ تباعد القائم بالاتصال: وذلك من خلال الوسائل الاتصالية المحمولة والتي يمكنها إجراء الاتصال من أي مكان، ومع أكثر من فرد، دون الحاجة إلى مواجهة المتلقين بما يعني تحقق الاتصال عن بعد.

✓ إزالة رهبة القائم بالاتصال: حيث ستؤدى عدم مواجهة الاتصال إلى إزالة الرهبة الناتجة عن مواجهة الجماعة، مما يؤدي إلى تسهيل مهمة القائم بالاتصال في عرض رسالته.

ب.على مستوى المتلقي:

✓ حركية المتلقين: فمن خلال الوسائل الاتصالية المحمولة يمكن تحقق الاتصال مع متلقين متباعدين ومتحركين.

✓ سهولة التفاعل مع القائم بالاتصال: حيث تؤدي الوسائط الاتصالية المتعددة إلى تمكين كل متلقي من تحقيق أقصى درجة من التفاعل المرئي والصوتي مع القائم بالاتصال.

ج.على مستوى الرسالة:

✓ شمولية الرسالة: من خلال احتوائها على كافة الأشكال الاتصالية، سواء مقروءة في شكل نصوص، أو مسموعة في شكل صوت، أو مرئية في شكل صورة، أو في شكل مركب.

د.على مستوى الوسيلة:

✓ حركية الوسيلة.

✓ تعدد الاتجاهات الاتصالية للوسيلة: من خلال قدراتها على الاتصال متعدد الاتجاهات بأكثر من جهة في نفس الوقت، بما يلغى ثبات الاتصال واقتصاره على اتجاه اتصالي واحد.

ولعل ما سبق يوضح أن الاتصال الجمعي سيتحول من اتصال في نقطة واحدة، إلى اتصال بين نقاط متباعدة توحدها التكنولوجيا.

4.1.تطور نموذج عملية الاتصال الجماهيري:

أدت التقنيات الاتصالية الحديثة إلى "عولمة" عملية الاتصال الجماهيري، من خلال تقنيات أقمار البث المباشر وشبكة الإنترنيت، وسيؤدي هذا بالتزاوج مع تقنيات حديثة أخرى، إلى تطور النموذج التقليدي للاتصال الجماهيري كالتالي:

أ.على مستوى القائم بالاتصال: وتشمل النقاط التالية:

✓ عدم ضرورة احتراف القائم بالاتصال: حيث أدت تقنيات النشر الالكتروني من خلال شبكات المعلومات إلى قيام منظمات وجماعات أو أفراد (غير إعلاميين) بنشر أفكارهم أو معلوماتهم أو تفسيرهم للأحداث، مستغلين سهولة النشر الإلكتروني.

✓ حركية القائم بالاتصال: من خلال تقنيات التجهيزات التكنولوجية الاتصالية المتحركة لجمع وإنتاج المعلومات ونقلها على الهواء مباشرة.

✓ إمكانية غياب القائم بالاتصال: ويبدو ذلك في الخدمات المعلوماتية التفاعلية، حيث تتولى الحاسبات الإلكترونية إرسال المعلومات دون الحاجة إلى وجود القائم بالاتصال، وأيضا سيبدو ذلك في خدمات الواقع الافتراضي حيث يمكن تخليق مذيعين أو ممثلين افتراضيين، بما يعني غياب القائم بالاتصال.

✓ عالمية القائم بالاتصال: حيث أصبح القائم بالاتصال يكتسب صفة العالمية، لإمكان وصول رسائله إلى كافة البقاع في العالم، باستخدام أقمار البث المباشر.

ب.على مستوى المتلقي: وتتمحور حول:

✓ إيجابية المتلقي (تفاعلية المتلقي): فمن خلال التقنيات التفاعلية الحديثة يمكن للمتلقي أن يتفاعل مع رسائل الاتصال الجماهيري، بحيث يتحول الاتصال الجماهيري إلى اتصال في الاتجاهين، بعدما كان اتصالا في اتجاه واحد.

✓ حركية المتلقي: من خلال استخدام وسائل الاتصال الجماهيري المحمولة.

✓ عالمية المتلقي: حيث أدى اتساع استقبال الرسائل الجماهيرية ليشمل رقعة العالم ككل، إلى الخروج من إطار إقليمية المتلقي إلى عالمية المتلقي.

✓ إمكانية غياب المتلقي: فمن خلال تكنولوجيا الوسائل الاتصالية الجماهيرية الحديثة، يمكن للأجهزة القيام باستقبال الرسائل وتسجيلها وتخزينها رغم عدم تواجد المتلقي.

ج.على مستوى الوسيلة: ومن بينها:

✓ حركية الوسيلة: من خلال الوسائل المحمولة.

✓ ذكاء الوسيلة: من خلال إمكانية انتقاء الرسائل التي تتفق ورغبات المتلقي، باستخدام برامج المرشحات أو الأجهزة الوقائية التي يمكنها استقبال رسائل واستبعاد أخرى.

✓ إمكانية القيام بدور القائم بالاتصال أو المتلقي: وذلك أثناء غياب القائم بالاتصال أو المتلقي.

د.على مستوى الرسالة: وتتمحور حول:

✓ تضخم الرسائل: حيث أدت "عولمة" الاتصال الجماهيري، إلى فيض من الرسائل التي تنهمر ليلا نهارا من شتى البقاع والأرجاء.

✓ واقعية الرسالة: من خلال تكنولوجيا الواقع الافتراضي.

✓ حرية الرسالة: حيث زادت صعوبة سيطرة السلطات على العدد غير المحدود من الرسائل المتدفقة عبر شبكة الإنترنيت أو من خلال أقمار البث المباشر.

✓ مرونة الرسائل: حيث أدت الوسائل التفاعلية إلى اتفاق الرسالة مع رغبات المتلقي.

إن العرض السابق لكافة النماذج البنائية المتطورة لعملية الاتصال يوضح أن الحركية والعولمة، والتفاعلية، والواقعية، وغياب المرسل والمتلقي، وعدم ضرورة الاحتراف، والشمولية، ستمثل كلها أبعاداً جديدة ستضاف إلى عملية الاتصال الإنساني في ظل التطور الفائق لتكنولوجيا الاتصال. وسيحمل المستقبل بلا شك المزيد من الأبعاد الاتصالية الجديدة.

2.التأثيرات التكنولوجية: ومن بينها نذكر مايلي:

1.2.التكامل التكنولوجي العضوي:

تتجه المنظومة التكنولوجية الاتصالية إلى التكامل العضوي، مع استمرار التحول إلى مجتمع المعرفة. حيث تتحد يوما بعد آخر الحقول المختلفة في مجال تكنولوجيا تجهيزات نقل المعلومات، من خلال توظيفها في منظومة جماعية متكاملة لنقل الرسائل الإعلامية والمعلوماتية والاتصالية.

وسيشهد المستقبل القريب من خلال تمهيد «الطريق السريع للمعلومات»[2]، التطبيق العملي لهذا المظهر التكاملي العضوي لتكنولوجيا تجهيزات نقل المعلومات، حيث ستتواصل تكنولوجيا كوابل الألياف الضوئية، مع تكنولوجيا استغلال الطيف الكهرومغناطيسي، مع تكنولوجيا الأقمار الصناعية، مع تكنولوجيا الاتصالات الرقمية لتشكل شبكة إلكترونية متكاملة عضويا، لا تتوقف فيها حركة مرور المعلومات أو الاتصالات أو الرسائل الإعلامية.

2.2.التكامل التكنولوجي الهيكلي:

تتجه تكنولوجيا الوسائل (أجهزة الاستقبال والعرض والاتصالات) إلى التكامل الهيكلي، من خلال إنتاجها جميعا في منظومة جماعية متكاملة لاستقبال وعرض وإرسال الرسائل الإعلامية والمعلوماتية والاتصالية. وسيشهد المستقبل اتجاه شركات إنتاج الوسائل الاتصالية إلى دمج الوسائل المختلفة في جهاز واحد يشكل "وحدة اتصالية متكاملة"[3].

3.2.نحو مجتمع لا ورقي:

بدأ التحرك الآن بسرعة وفي مد لا ينحسر نحو مجتمع بلا ورق، نتيجة التطورات الهائلة في علوم الحاسب وتكنولوجيا الاتصال، والتي تكفل القدرة على تصور نظام عالمي يتم فيه تنفيذ كافة أنشطة الطباعة في جو إلكتروني خالص، دون حاجة إلى الورق في هذا المجتمع.

وتعد المرحلة الحالية بمثابة مرحلة انتقالية في حلقة التطور الطبيعي من الطباعة على الورق إلى الإلكترونيات. حيث يستخدم الحاسب في الكتابة، بينما تخرج النصوص الناتجة مطبوعة على الورق. وبالتالي فإن أشكال المعلومات الإلكترونية ما زالت تقف جنبا إلى جنب مع أشكال المعلومات المطبوعة، ولم تحل محلها بعد، وسوف يتغير هذا الموقف في المستقبل بلا شك"[4].

وتقوم العديد من الصحف حاليا بإنشاء مواقع لها على شبكة الإنترنيت، بحيث تصدر الصحيفة على الشبكة في نفس توقيت صدورها في الأسواق، وبالتالي يمكن لأي مستخدم للإنترنيت الإطلاع على تلك الصحف إلكترونيا أو الحصول على نسخة ورقية منها من خلال الطابعات.

ولعل كل ما سبق يوضح "أن التطور التقني في ظل مجتمع المعلومات سيجعل تقليب الصفحات شيئا من الماضي"[5]. وسيصبح التحول من المجتمع الورقي إلى المجتمع اللاورقي، بمثابة تحول من مجتمع جامد وتكنولوجيا ساكنة، إلى مجتمع ديناميكي وتكنولوجيا متحررة.

3.التأثيرات النوعية (التداخل النوعي):

أدى التكامل التكنولوجي على المستويين العضوي والهيكلي، إلى تحقيق تداخل نوعي بين الأشكال النوعية المختلفة للاتصال الإنساني، حيث تداخلت الأشكال الإعلامية (البرامجية والترفيهية والدرامية والإخبارية)، مع الأشكال المعلوماتية (الاستفسارية

والبحثية)، مع الأشكال الاتصالية. فلقد أدت شبكة الإنترنيت إلى إحداث تقارب بين كافة الأشكال النوعية المختلفة للاتصال الإنساني، وإلى تلاشي الحدود كثيرا بين ما هو إعلام وما هو اتصالات وما هو معلوماتية.

4.التأثيرات التنظيمية[6]:

أدت تكنولوجيا الاتصال الحديثة إلى اتساع الأسواق الاتصالية لتشمل العالم بأسره، وهذا سيدفع المؤسسات الاتصالية المتشابهة وظيفيا إلى الاتجاه التدريجي نحو الاندماج الوظيفي، حيث ستتحد المؤسسة الصحفية –مثلا- في اندماجات وظيفية، والمؤسسات الإذاعية في اندماجات أخرى... وهكذا.

وستحدث نفس الاندماجات الوظيفية على مستوى القطاعين الاتصالي والمعلوماتي. ثم ستأتي مرحلة تالية تندمج فيها المؤسسات الإعلامية غير المتشابهة وظيفيا – المتشابهة نوعيا- في شكل اندماجات إعلامية نوعية ضخمة (صحفية تلفزيونية إذاعية). وستحدث نفس الاندماجات في القطاعين الاتصالي والمعلوماتي. وبعد أن تأخذ مرحلة الاندماج النوعي مداها، ستعقبها مرحلة للتكتل المؤسساتي (غير النوعي)، فتتجه الاندماجات النوعية إلى التكتل مع بعضها البعض في شكل تكتلات مؤسساتية ضخمة (إعلامية اتصالية معلوماتية).

ثانيا: التأثيرات المجتمعية لتكنولوجيا الاتصال: هناك العديد من التأثيرات ومن بينها:

1.التأثيرات الاجتماعية لتكنولوجيا الاتصال:

يعد "مجتمع المعلومات والمعرفة" هو البديل الجديد للمجتمع الذي عايشناه معظم القرن العشرين، ويعتمد على نظام هائل ومعقد، وينبني هذا الأخير على التسهيلات التي أتاحتها التكنولوجيا في النصف الثاني من القرن العشرين، وبالتالي تكمن طاقة هذا النظام في القدرة الهائلة على جمع البيانات وتصنيفها وتخزينها واسترجاعها، وبثها بأكبر كميات ممكنة، لأكبر عدد ممكن من الأفراد، وفي أقل وقت ممكن مهما كانت المسافة"[7].

وفي ظل سياق كهذا سيمتد التغير الاجتماعي إلى مجالات جديدة، وستشجع أجهزة وتقنيات الإعلام والاتصال على ظهور أشكال جديدة من تنظيم المعارف في المؤسسات العامة والخاصة، وطرق جديدة لتنسيق الأنشطة الرئيسية، خصوصا في مجالات تنظيم المدن والنقل وتوزيع الخدمات على المواطنين"[8].

وتتجلى أولى الخطوات الساعية نحو مجتمع المعلومات والمعرفة في الاقتراب الحثيث نحو إنشاء الطريق السريع للمعلومات، والذي سيعد بمثابة ثورة ستفتح عهدا جديدا يؤدي إلى تغيرات جوهرية في البني الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفي طرق التنظيم والإنتاج وفي وسائل التسلية والعلاقات بين الأفراد، بالإضافة إلى أساليب الحصول على المعرفة[9].

بالإضافة إلى ذلك.. فإن التأثيرات الاجتماعية لتكنولوجيا الاتصال ستمتد إلى المنازل والمكاتب باعتبارها تمثل الوحدات الاجتماعية الأهم في الحياة الاجتماعية للإنسان. وتتوقع الدراسات المستقبلية الأمريكية المتعلقة بدخول الخدمات الإعلامية الجديدة إلى المنازل، الظهور الوشيك لجيل جديد من الأجهزة التفاعلية[10]، مما سيؤدي إلى طريقة جديدة لتعريف المنزل، ليبدو بمثابة موقع متميز لإنتاج ومعالجة ونقل واستقبال المعلومات المتعلقة بمجالات وخدمات متعددة: العمل عن بعد، الترفيه، البريد الإلكتروني، استشارة بنوك المعلومات المتخصصة، الاستهلاك والشراء عن بعد، التحويلات النقدية الإلكترونية، توزيع صور وصفحات من الجرائد، المؤتمرات المرئية، النسخ عن بعد. بالإضافة إلى إمكانية اختيار العديد من البرامج المسجلة مثل: الأفلام، وبرامج الشبكات، والبرامج الإخبارية، والأفلام الوثائقية، والمباريات، وخدمات وكالات الأنباء المحلية والعالمية، وخدمات سوق الأوراق المالية، وجداول شركات الطيران، ونشرات المناخ والطقس.

ونتيجة لكل ذلك فسوف تتطور مفاهيم المكتب والبيت، وتصبح الفروق بين مفهوم البيت والمكتب أقل مما هي عليه اليوم. حيث ستؤدي تكنولوجيا الاتصالات الحديثة من خلال الشبكات الرقمية المتكاملة، إلى ظهور ما يمكن أن يطلق عليها المكتب المنزلي Home office . و قد بدأت – بالفعل – معظم الدول الإسكندنافية في انتهاج هذا الأسلوب الجديد في العمل[11].

و لكن تطور مفهوم البيت يحمل في جوانبه بعض السلبيات. لأن كل هذه الخدمات المنزلية الزائدة عن الحد، في شكل فيض من الصور و المعلومات القادمة من العالم الخارجي، قد تؤدي إلى انطواء الأفراد، وإلى تقليص العلاقات الإنسانية المباشرة، وتضييق اهتمامات الأفراد، وتقليص الخبرات المشتركة بين الأفراد مما يؤدي إلى صعوبة التفاهم والاشتراك في القيم[12]، كذلك هناك إمكانية انتهاك الخصوصية، والتجسس على ما يحدث في المنازل.

2.التأثيرات السياسية لتكنولوجيا الاتصال:

أدى التطور المتصاعد في تكنولوجيا تجهيزات ووسائل الاتصال إلى تأثيرات سياسية واضحة على مستوى العالم. تتمثل في المساعدة على نشر الديمقراطية نتيجة اختراق كل من البث الفضائي المباشر وشبكة الإنترنت لحدود كافة الدول. مما أدى إلى استحالة إخفاء الأحداث والوقائع و صعوبة ممارسة التزييف والتضليل الإعلامي.

ولعل أوضح مثال على الدور الكبير الذي لعبته تكنولوجيا الاتصال في نشر الديمقراطية يتمثل في الدور الذي لعبه البث التلفزيوني الخاص بدول أوربا الغربية والذي كان يمكن التقاطه بدول أوربا الشرقية، مما أدى إلى الإسراع بسقوط الشيوعية في دول المعسكر الشرقي نتيجة مقارنة المواطنين لمدى التفاوت بين مستويات الحرية والرفاهية في كل من شرق وغرب أوربا. حيث استغرق إنهاء حكم الحزب الشيوعي في بولندا عشر سنوات، وفي المجر عشرة شهور، وفي ألمانيا الشرقية عشرة أسابيع، و في تشيكوسلوفاكيا عشرة أيام، وفي رومانيا ليس أكثر من عشر ساعات... ولقد كانت هذه السلسلة من المفاجآت السياسية التي ملأت شاشة التلفزيون في 1989، إيذانا بسقوط الإتحاد السوفياتي ذاته في خريف عام 1991[13].

ولقد استمر قطار الديمقراطية في مساره بدول الإتحاد السوفياتي السابق وغيرها، مستفيدا من تحطيم تكنولوجيا الاتصال لكافة الحواجز التي كانت تتيح لأنظمة الحكم الاستبدادية ممارسة استبدادها بعيدا عن أعين وسائل الإعلام. ولكن مع البث الفضائي المباشر و فاعلية شبكة الانترنيت أصبح من المستحيل على تلك النظم مواجهة الحركات السياسية المعارضة لها باستخدام القمع، مما أدى إلى نمو الحركات المعارضة ونجاحها في قيادة الجماهير في انتفاضات شعبية عارمة لإقصاء نظم الحكم المستبدة.

3.التأثيرات الاقتصادية لتكنولوجيا الاتصال:

أدى التطور المتصاعد في تكنولوجيا الاتصال إلى إحداث تطورات هامة في مجال الأنشطة الاقتصادية. فعلى مستوى النقود فإن النقود بسبيلها الآن لتصبح رقمية على نحو مطرد.. لقد أصبح هذا الأمر واقعا الآن بالنسبة للبنوك الكبيرة والمؤسسات الدولية. ومن حوالي 4 تريليونات دولار تتداول في الولايات المتحدة، فإن العشر منها فقط هو على شكل نقد حقيقي وعملات مخزنة في صناديق البنوك وجيوب الناس[14]. الأمر الذي أدى إلى أن تصبح النقود بمثابة سلعة يتم تداولها خارج وظائفها الاقتصادية التقليدية.

وبالإضافة إلى النقود الإلكترونية فقد ظهر في الحقل الاقتصادي مصطلح "التجارة الإلكترونية"، فمع تحول اقتصاد عصر(ما بعد الصناعة) إلى اقتصاد خدمات أكثر منه اقتصاد منتجات صناعية وتحويلية. فإن التجارة الإلكترونية تصبح هي الأكثر سرعة وإنجازا.

وتتكون التجارة الإلكترونية من، التجارة الإلكترونية غير المباشرة والتي تتعلق بمعلومات عن سلع مادية فعلية يتم شحنها بوسائل النقل التقليدية. والتجارة الإلكترونية المباشرة التي تشتمل على سلع هي نفسها عبارة عن معلومات يتم شحنها بشكل مباشر عبر شبكات الاتصال، وهذه السلع تشمل البريد الإلكتروني والبرامج والكتيبات، والكتب والصور والتسجيلات الفنية والموسيقى والأفلام وأدلة السفر والإرشادات والأخبار، أو أسعار البورصات والأموال الإجراءات والاستثمارات والمواد التعليمية...الخ.

ونظرا للسرعة التي تتم بها عملية التوريد تُرضى الحاجة الإنسانية للإشباع الفوري. والمرجع أن تصبح التجارة الإلكترونية المباشرة عنصرا هاما من عناصر سوق المعلومات.

إن تنامي القدرة التي توفرها تكنولوجيا الاتصال الإلكتروني عبر شبكات الاتصال. سيؤدي إلى تحقيق الفكرة التي كان قد طرحا «آدم سميث» لمفهوم الأسواق في كتابه ثروة الأمم 1776، والتي مفادها أنه: "لو كان كل مشتر يعرف سعر كل بائع. وكل بائع يعرف ما الذي يرغب كل مشتر في شرائه. لأصبح كل فرد في «السوق» قادرا على اتخاذ قرارات مبنية على معرفة كافية. ولجرى توزيع موارد المجتمع بكفاءة"[15].

وبالتالي سيقود إنشاء طريق المعلومات السريع في المستقبل إلى توسيع نطاق السوق الإلكترونية ويجعل منها الوسيط المطلق أو السمسار الشامل، وستكون كل السلع المعروضة للبيع في العالم بأسره متاحة لفحصها ومقارنتها. بل لإدخال تعديلات عليها، وسوف ينقلنا ذلك إلى عالم جديد من الرأسمالية ضئيلة الاحتكاك، وضئيلة النفقات المباشرة، حيث تصبح المعلومات المتعلقة بالسوق وافرة، وحيث تكلفة التعاملات ضئيلة.

وهذا سيؤدي إلى "تعاظم إمكانية تحديد مواصفات المنتج وفقا لرغبات العميل"، ويؤدي إلى بروز اقتصاد جديد يطلق عليه "ألفين توفلر" اقتصاد المستهلك (أي المنتج/ المستهلك)، والذي يعني قيام المستهلك ببعض المراحل النهائية في الإنتاج، من خلال إتاحة المنتج لسلع غير كاملة الإنتاج، وتوفير أجهزة يمكنها استكمال الإنتاج منزليا، بحيث تصبح للمستهلك القدرة على إنتاج السلعة وفقا لرغبته أو تشكيل الخدمة وفقا لحاجته.

الخاتمة:

لقد لعب التطور التكنولوجي دورا كبيرا في بناء الحضارة الإنسانية الحديثة، وكان السبب في كل هذه التحولات الجذرية في جميع مجالات الإنتاج الذي هو الأساس الحاوي للحياة في المجتمع، كما أدى هذا التطور إلى تغيير المجتمعات التقليدية في الدول الصناعية الحديثة إلى مجتمعات تقنية أثرت بدورها على السلوك الإنساني للأفراد، وعلى الإدارة، وعلى المجتمع، وعلى التنظيم السياسي للدولة، غير أن التطور التكنولوجي وبالرغم من كل مزاياه العديدة، يساهم أيضا في تقييد الحرية الشخصية للأفراد أو عن طريق الرقابة والتحقيق، وغيرها من وسائل الانتهاك الأخرى للحرية.

إن استخدام التكنولوجيات المتقدمة في صناعة المعلومات، سوف يؤدي إلى زيادة في إنتاجها ويسهل إنشاء شبكات أو برامج معلومات أكثر كفاءة وأقل تكلفة، ولكن هذه الاستخدامات للمستحدثات التكنولوجية سوف لن تؤدي هدفها بدون تخطيط سليم متواصل وتنسيق جهود الأطراف المعنية.

التهميش:

1. محمد محفوظ: تكنولوجيا الاتصال-دراسة في الأبعاد النظرية والعلمية لتكنولوجيا الاتصال-، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005، ص 151.
2. زكي حسين الوردي ومجبل لازم المالكي: المعلومات والمجتمع، الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ص 271.
3. محمد محفوظ، مرجع سابق، ص 158.
4. عبد الملك ردمان الدناني: تطوير تكنولوجيا الاتصال وعولمة المعلومات، المكتب الجامعي الحديث، 2005، ص 115.
5. السيد بخيت: الصحافة والانترنيت، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص 23.
6. محمد محفوظ، مرجع سابق، ص 162.
7. حسن عماد مكاوى: تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 2003، ص 17.
8. المرجع نفسه، ص 22.
9. محمد فتحي عبد الهادي: مجتمع المعلومات بين النظرية والتطبيق، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2007، ص 27.
10. حسن عماد مكاوي ومحمود سليمان علم الدين: تكنولوجيا المعلومات والاتصال، جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، 2000، ص 210.
11. محمد محفوظ، مرجع سابق، ص 166.
12. حسن عماد مكاوى، مرجع سابق، ص 251.
13. محمد محفوظ، مرجع سابق، ص 169.
14. المرجع نفسه، ص 171.
15. المرجع نفسه، ص 172.